رايات الإسلام

(٩)

فى حطين

دار المعارف

رايات الإسلام

(٩)

فى حطين

بقلم : وصفى آل وصفى

الطبعة الثانية

دار المعارف

رايات الإسلام

بَدأَ القَرْنُ السَّابعُ الْميلاديُّ والْعَرَبُ فى شِبهِ الْجَزيرَةِ ضِعافٌ ومُتفرِّقُونَ ، يَطْغَى عَليهِمُ الْفُرسُ بالْعِراقِ – فى الشَّرقِ . . والرُّومُ بالشَّامِ – فى الشَّمالِ . .

وَبُعِثَ الرَّسُولُ ﷺ فَغيَّرَ الإِسْلامُ حَيَاةَ الْعَرَبِ تَغْيِيراً تامًّا . .

أَمَدَّهُمْ بِقوَّةٍ حقَّقتِ الْمُعْجِزات ، وَجَمعتْهُمْ – فى ظِلِّ رَايَاتِهِ – طُمأْنِينَةٌ نَفْسيَّةٌ تنبعُ مِنْ سَمَاحَتِهِ . . وَحَماسَةٌ بُطُولِيَّةٌ تَبْعَثُها فِيهِمْ أَهْدَافُهُ الْعَظِيمَةُ . .

وَكانَتْ « مكَّةُ » الْمدِينَةَ الأُولَى فى شِبْهِ الْجَزيرَةِ الَّتِى تَمْتدُّ حَوالىْ أَلْفِ كِيلُو مِتْرٍ مِنَ الشَّرقِ إلى الْغَربِ . . وما يَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ ، لكِنَّ هِجْرَةَ الرسُولِ ﷺ نَقَلَتْ مَقَرَّ الْقِيَادَةِ الإِسْلامِيةِ إِلَى « يَثْربَ » الَّتِى أَصْبَحتْ تُعْرفُ بِاسْمِ « الْمَدِينَة » . .

وَتُوفِّىَ الرَّسُولُ فى العَامِ الْحَادِى عَشَرَ الْهِجْرِىِّ – السَّنَةِ ٦٣٢ الْمِيلادِيَّةِ – فَتَتَابعَ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ بالْمَدِينَةِ ، ومِنْهَا خَرجَتْ راياتُ الإسلامِ لِتُوحِّدَ شِبه الجَزيرةِ العَربيّةَ ، ثُمَّ انْطَلَقتْ إلَى الْعِرَاقِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ . . تُبَشِّرُ الشُّعُوبَ بالتَّحْرِيرِ وَتَزُفُّ إليها الْعَدْلَ وَالْحريَّةَ . . وَتَصْحبُ الْمُؤْمنينَ فى مَعارِكَ خَالِدَةٍ مَا تَزَالُ أَخْبَارُها تُروى فَتُثِيرُ الإعْجَابَ لَدَى الْقَادَةِ والْجُنُودِ ، وَتَغْرِسُ الْعِزَّةَ فى نُفُوسِ النَّاشِئَةِ . .

فى حِطِّين

١

فى مَطْلَعِ الْقَرْنِ الأَوَّلِ الْهِجْرِىِّ ، السَّابع الميلادِىّ ، رَفْرَفَتْ رَاياتُ الإسْلاَمِ عَلَى بِلاَدِ الشَّامِ مُعْلِنَةً تَحْرِيرَهَا مِن الاسْتِعْمَارِ الرُّومَانِـىِّ . لٰكِنَّ الرُّومَانَ لَمْ يَكُفُّوا عَنْ مُحَاوَلاَتِهِمُ الْفَاشِلَةِ فى سَبِيلِ العَوْدَةِ إلى تِلْكَ البلادِ ، الْعَرَبِيَّةِ ، وتَسْخِيرِ شَعْبِهَا لِخِدْمَةِ مَصَالِحِهِمْ . . وَنَهْبِ خَيْرَاتِهَا . .

وَبَعْدَ أَرْبَعَةِ قُرُونٍ ، نَشِبَتِ الْحُروب التى عُرِفَتْ بِاسْمِ «الْحُروبِ الصَّلِيبِيَّةِ» . . لأَنَّ الْجُيُوشَ الْجَرَّارَةَ التى حَشَدَتْهَا أُوربَّا لِلْعُدْوَانِ على الأَرَاضِى المُقَدَّسَةِ كَانَتْ تَتَّخِذُ الصَّلِيبَ شِعَارًا تَرْفَعُهُ على أَعْلاَمِهَا وتُزَيِّنُ بِهِ ثِيَابَهَا !

بَدَأَتِ الْحُرُوبُ الصَّلِيبِيَّةُ عِنْدَمَا أَرْسَلَ الإِمْبَرَاطُورُ الرُّومَانِىُّ إلى «بَابا» الْكَنِيسَةِ الْغَرْبِيَّةِ فى «رُومَا» يَسْتَنْجِدُ بِهِ ضِدَّ أُمَرَاءِ

«السَّلاجِقَةِ» الْمُسْلِمِينَ ، الذين جاءُوا من «إيران» وَاسْتَوْلَوْا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ بِلاَدِ الشَّامِ فِي الْقَرْنِ الحادِي عَشَرَ الميلادِي . . وَبَاتُوا يُهَدِّدُونَ «الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ» عاصِمَةَ الْقِسْمِ الشَّرْقِيِّ من الإمْبَرَاطُورِيَّةِ الرُّومَانِيَّةِ . وَكَانَ «البَابَا» يَحْلُمُ بِمَدِّ سِيَادَتِهِ إلى «بَيْتِ الْمَقْدِسِ» ، فَانْتَهَزَ الفُرْصَةَ وَدَعَا المسيحيِّين بأُوربا إلى الاسْتِيلاءِ على بِلاَدِ الشَّامِ . .

وَسُرْعَانَ مَا تَجَمَّعَ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ أَلْفَ رَجُلٍ مِنْ أَنْحَاءِ أُورُبا ، وَزَحَفُوا إلى «فِلِسْطِينَ» بِمُسَاعَدَةِ الإمْبَرَاطُورِ الرُّومَانِيِّ . . وَاحْتَلُّوا مَدِينَةَ الْقُدْسِ !

وَقَتَلَ الصَّلِيبِيُّونَ سُكَّانَ الْقُدْسِ مِنَ الْعَرَبِ . . جَمِيعًا ، فَلَمْ يَدَعُوا طِفْلاً أَوِ امْرَأَةً أَوْ شَيْخًا !

وَبَلَغَ عَدَدُ الْقَتْلَى سَبْعِينَ أَلْفًا !

وَاسْتَمَرَّ الاحْتِلاَلُ الصَّلِيبِيُّ لِلأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ قَرْنَيْنِ مِنَ الزَّمَانِ ، بَغَوْا فِيهَا وَطَغَوْا ، وَظَلَمُوا وَأَفْسَدُوا . .

ومِنْ هُنَاكَ حَاوَلُوا أَنْ يَسْتَوْلَوْا على مِصْرَ ، وَاعْتَدَى بَعْضُهُم على شِبْهِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ .

لَكِنَّ الْعِنَايَةَ الإلٰهِيَّةَ كَانَتْ لَهُمْ بِالْمِرْصَادِ !

وَشَاءَ اللهُ تَعَالَى أَنْ تَكُونَ هَزِيمَتُهُمْ فى الأَرْضِ الْعَرَبِيَّةِ على يدِ الْقَائِدِ المُسْلِمِ الْعَظِيمِ : «صَلاَحِ الدِّينِ بنِ أَيُّوب» . .

٢

أَصَابَ الضَّعْفُ الْخِلاَفَةَ الْعَبَّاسِيَّةَ فى «بَغْدَادَ» حتَّى لَمْ يَعُد لِلْخَلِيفَةِ شَيْئًا مِنَ السُّلْطَانِ سِوَى الدُّعَاءِ لَهُ عَلَى مَنَابِرِ المساجِد . .

وَفى مِصْرَ كَانَتِ الْخِلاَفَةُ الْفَاطِمِيَّةُ قد بَلَغَتْ نِهَايَتَهَا أَوْ كَادَتْ ، وَعَمَّتِ الْفَوْضَى الْبِلاَدَ . .

وَكَانَ تَدَهْوُرُ الأُمُورِ مِنَ الدَّوْلَتَيْنِ : الْعَبَّاسِيَّةِ وَالْفَاطِمِيَّةِ ، وَالانْقِسَامَاتُ الدَّاخِلِيَّةُ فى الْعَالَمِ الْعَرَبِىِّ ، السَّبَبَ الرَّئِيسِىَّ فى تَمَكُّنِ الصَّلِيبِيِّين مِنَ الاسْتِقْرَارِ بِبِلاَدِ الشَّامِ وَإِنْشَاءِ مَمْلَكَةِ القُدْسِ . . وَإِمَارَاتِ «الرُّها» و «أَنْطَاكْيَة» و «طرابُلس» . . وَتَطَلُّعهمْ إلى السَّيْطَرَةِ على مَنْطقَةِ الشَّرْقِ الأَوْسَطِ كُلِّها . .

لَكِنَّ الإِسْلاَمَ كَانَ يَعْمَلُ عَمَلَهُ فى نُفُوسِ الْمُسْلِمِينَ ، فَيَمْلَؤُهَا إِيمانًا . . وَيَحْفِزُهُم لِلتَّحَرُّكِ دِفاعًا عَنْ أَوْطَانِهِم . .

وَفى عام ١١٢٧ الميلادِىّ بَدَأَ حَاكِمُ «الْمَوصِل» ، «عِمَادُ الدِّينِ زَنْكِى» يَدْعُو إلى الْوَحْدَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ بِاعْتِبَارِهَا

الْوَسِيلَةَ الْوَحِيدَةَ لِمُوَاجَهَةِ الْخَطَرِ الصَّلِيبِىِّ وَاسْتِرْجَاعِ الأَرَاضِى الْمُحْتَلَّةِ .

وَلأَنَّ دَعْوَتَهُ كَانَتْ صَادِقَةً . .

وَلأَنَّ وَحْدَةَ الْمُسْلِمِينَ أَمْرٌ طَبِيعِىٌّ . .

نَجَحَ «عِمَادُ الدِّين زَنْكِى» من الاسْتِيلاءِ على «حَلَب» . . و«حَمَاة» . . و«حِمْص» . . وَضَمَّهَا إلى المُوصِلِ ، ثُمَّ هَاجَمَ الصَّلِيبِيِّين فى «الرُّهَا» وَاسْتَرَدَّهَا مِنْهُم !

وَتُوُفِّىَ «عِمَادُ الدِّينِ» بَعْدَ حِينٍ ، فَاقْتَسَمَ وَلَدَاهُ الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ . .

الموصِلُ آلَتْ إلى وَلَدِهِ «سَيْفِ الدِّينِ» ، وحَلَبُ وَما حَوْلَهَا كَانَتْ مِنْ نَصِيبِ وَلَدِهِ «نُورِ الدِّينِ» . .

وَاقْتَدَى «نُورُ الدِّينِ» بِوَالِدِه ، فَأَخَذَ يَعْمَلُ على جَمْعِ الْبُلْدَانِ الشَّامِيَّةِ تَحْتَ قِيَادَتِهِ . وَسَعَى فى الْوَقْتِ نَفْسِهِ إلى تَقْوِيَةِ السُّلْطَةِ الدِّينِيَّةِ لِلْخلافَةِ ، فَأَعَدَّ جَيْشًا لِلْقَضَاءِ على الْفَوْضَى السَّائِدَةِ فى مِصْرَ وَضَمِّهَا إلى الْخِلافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ . . وَجَعَلَ قِيَادَةَ ذَلِكَ الْجَيْشِ لِقَائِدٍ مِنْ قُوَّادِهِ الأَقْوِيَاءِ ، وَهُوَ «أَسَدُ الدِّينِ

شِيركُوه» . .

وَفى عام ١١٦٤ الميلادى سَارَ «أَسَدُ الدِّينِ شِيرِكُوه» إلى مِصْرَ ، وَفى صُحْبَتِهِ ابنُ أَخِيهِ «صَلاَحُ الدِّينِ الأَيُّوبىّ» . .

البحر المتوسط
طرابلس
انفه
البترون
جبيل
العاصي
المنيطرة
بعلبك
بيروت
البقاع
عين الجر
شقيف تيرون
صيدا
شقيف أرنون
دمشق
الغوطة
داريا
مرج الصفر
صور
هونين
تبنين
الجولان
صفد
عكا
بحيرة طبرية
طبرية
السواد
اليرموك
حيفا
الناصرة
الجليل
الأقحوانة
عين جالوت
بيسان
قيسارية
نابلس
ارسوف
الأردن
يافا
اللد
الرملة
الغور
بيت المقدس
بيت لحم
عسقلان
بيت جبرين
غزة
الداروم
البحر الميت
الكرك
العريش
فلسطين

٣

سَارَ «أَسَدُ الدِّينِ» إلى مِصْرَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ : عام ١١٦٤ الميلادِي . . وعام ١١٦٧ . . وعام ١١٦٨ . .

وَفِي المرَّاتِ الثَّلاثِ كَانَ «صَلاحُ الدِّينِ» مِنْ قُوَّادِهِ البَارِزِينَ . .

في الْمَرَّةِ الأُولَى اِسْتَنْجَدَ الْوَزِيرُ الْفَاطِمِيُّ – الذِي لَمْ يَكُنْ يَعْنِيه سِوَى الْمُحَافَظَةِ على مَنْصِبِهِ – بِالأَعْدَاءِ ! أَجَلْ ، اِسْتَنْجَدَ بِمَلكِ الْقُدْسِ الصَّلِيبِيِّ . . الذى اِنْتهَزَ الفُرْصَةَ وَزَحَفَ إلى مِصْرَ !

وَانْتَهَى الْقِتَالُ بيْنَ الصَّلِيبِيِّينَ وَجَيْشِ «أَسَدِ الدِّينِ» بِاتِّفَاقِ الطَّرَفَيْنِ على الانْسِحَابِ مِنْ مِصْرَ . .

ثُمَّ تَكَرَّرَتِ الأَحْدَاثُ عام ١١٦٧ . .

عَادَ «أَسَدُ الدِّينِ» إلى مِصْرَ فَعَادَ الْوَزِيرُ الفَاطِمِيُّ يَسْتَنْجِدُ بِالصَّلِيبِيِّينَ ، وَبَعْدَ قِتَالٍ عَنِيفٍ إنْسَحَبَ الصَّلِيبِيُّونَ . وَانْسَحَبَ أَسَدُ الدِّينَ وَصَلاَحُ الدِّينِ .

وَفجأةً انعكست الأوضاعُ . .

كَشفَ الصَّليبيُّونَ عَنْ نِيَّتِهِم الحقيقيَّةِ ، وَسَارُوا إلى مِصْرَ يُرِيدُونَ احتِلاَلَهَا . وَكَانَ مِنَ الطَّبيعىِّ أَنْ يَلْجأَ الوَزِيرُ الفاطِمِىُّ إلى أَقرَبِ قُوَّةٍ مُسْلِمَةٍ ، فَاتَّصَلَ بِنُورِ الدِّينِ الذِى بعَثَ أَسَدَ الدِّينِ وَابْنَ أَخيه صَلاَحَ الدِّينِ لِتَخْلِيصِ مِصْرَ مِنَ الصَّليبيِّين . .

وَفى هَذِهِ المَرَّةِ ، طَرَدَ «أَسَدُ الدِّينِ» الصَّليبيِّينَ من مِصْرَ . . وَتَوَلَّى السُّلطَةَ الفِعْلِيَّةَ فى البِلاَدِ . لكِنَّهُ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ تُوفِّىَ ، فَتَوَلَّى السُّلطَةَ فى مِصْرَ «صَلاَحُ الدِّينِ» الذِى رَاحَ يَبْذُلُ جُهْدَهُ لِتَنْظِيمِ الأُمُورِ فى البِلاَدِ وَتَقْوِيَةِ جَيْشِها . .

لكِنَّ مَلِكَ القُدْسِ لَمْ يَقِفْ سَاكِتًا وَهُوَ يَرَى مِصْرَ تَزْدَادُ قُوَّةً مِنْ يَوْمٍ إلى يَوْم ، فَطَلَبَ مِنَ الإمبَرَاطُورِ الرُّومَانِىِّ أَنْ يُعَاوِنَهُ على احتِلاَلِهَا . وَسُرْعَانَ مَا تَحرَّكَ الأُسْطولُ الرُّومَانِىُّ قَاصِدًا «دِمْيَاط» ، على حِينِ زَحَفَ الصَّليبيُّون بَرًّا إلى مِصْرَ . عِنْدَئِذٍ ظَهَرَتْ مِيْزَةُ الوَحْدَةِ المِصرِيَّةِ السُّورِيَّةِ ، فَقَدِ انْدَفَعَتْ كَتَائِبُ «نُورِ الدِّينِ» تُهَاجِمُ المَوَاقِعَ الصَّليبيَّةَ فى الشَّامِ . وَهَكَذَا

لَمْ يَجِدِ الصَّلِيبِيُّونَ بُدًّا مِنَ التَّرَاجُعِ عَنْ مِصْرَ لِيُدَافِعُوا عَنْ قِلاَعِهِم فى فِلِسْطِينَ ، فَلَمْ يَجِدِ الأُسْطُولُ الرُّومَانِىُّ بُدًّا مِنَ الإِبْحَارِ عَائِدًا إِلى قَوَاعِدِهِ . .

وَتَفَرَّغَ صَلاَحُ الدِّينِ لِلإِصْلاَحَاتِ الدَّاخِلِيَّةِ بِمِصْرَ ، وَالإِصْلاَحَاتُ الدَّاخِلِيَّةُ فى أَىِّ بَلَدٍ هِىَ أَسَاسُ قُوَّتِهِ الخَارِجِيَّةِ . .

٤
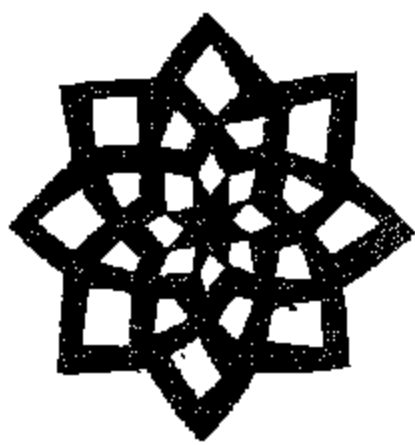
في عَام ١١٧٢ الميلادِي نَجَحَ «صَلاَحُ الدِّينِ الأَيُّوبِيُّ» في ضَمِّ «النُّوبَة» إلى مِصْرَ، كَمَا ضَمَّ إليها «اليَمَنَ» عام ١١٧٣..

وفي عامِ ١١٧٤ تُوُفِّيَ «نُورُ الدِّينِ» فَلَمْ يَعُدْ بَيْنَ الْحُكَّامِ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَقْدِرُ على تَوْحِيدِ الأُمَّةِ وَجَمْعِ كَلِمَتِهَا وَالدِّفَاعِ بِقُوَّةٍ عَنْ مَصَالِحِها غَيْرُ «صَلاَحِ الدِّينِ».

سَارَ «صَلاَحُ الدِّينِ» من مِصْرَ قَاصِدًا بِلاَدَ الشَّامِ، فَاسْتَقْبَلَتْهُ دِمشْقُ.. وَحِمْصُ.. وحَمَاةُ.. اِسْتِقْبَالَ الأَبْطَالِ! وَأَسْرَعَ الْخَلِيفَةُ الْعَبَّاسِيُّ إلى تَأْيِيدِ البَطَلِ الْمُسْلِمِ، مُؤَكِّدًا سُلْطَتَهُ على مِصْرَ وَالشَّامِ وَالنُّوبَةِ.. وَالْمِنْطَقَةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْ شِبْهِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ..

غَيْرَ أَنَّ الرُّومَانَ.. والصَّلِيبِيِّينَ.. عَادُوا إلى مُؤَامَرَاتِهِمْ، يُرِيدُونَ الْقَضَاءَ على «صَلاَحِ الدِّينِ».. وَعَلَى مِصْرَ. فَشَرَعَ صَلاَحُ الدِّينِ يُقِيمُ قَلْعَتَهُ الْمَشْهُورَةَ فَوْقَ جَبَلِ الْمُقَطَّمِ

بِالْقاهِرَةِ ، وَأَحَاطَ الْعَاصِمَةَ الْمِصْرِيَّةَ بِسُورٍ كَبِيرٍ يُيَسِّرُ الدِّفَاعَ عَنْهَا . . وَبَنَى أُسْطُولاً قَوِيًّا فى الْمَوَانِئِ الْمِصْرِيَّةِ . ثُمَّ لَمْ يَنْتَظِرْ أَنْ تَأْتِيَهُ جُيُوشُ الأَعْدَاءِ فى مِصْرَ ، بَلْ قَادَ جَيْشَهُ إلى الشَّامِ حَيْثُ دَارَتْ مَعَارِكُ عَنِيفَةٌ . .

وَأَصْدَرَ أَمْرَهُ إلى الأُسْطُولِ الْمِصْرِىِّ بِمُهَاجَمَةِ «عَكَّا» !

لَمْ يَلْبَثِ الأَعْدَاءُ أَنْ طَلَبُوا الصُّلْحَ ، فَقَبِلَهُ «صَلاَحُ الدِّينِ» لِيَسْتَأْنِفَ الْعَمَلَ على تَوْحِيدِ الأَقْطَارِ الإِسْلاَمِيَّةِ وَحَشْدِ مَوَارِدِهَا ، تَمْهِيدًا لِخَوْضِ المَعْرَكَةِ الْحَاسِمَةِ مَعَ الصَّلِيبِيِّينَ . .

وَلَمْ يَمْضِ وَقْتٌ طَوِيلٌ حَتَّى اسْتَوْلَى على حَلَب . .

ثُمَّ إِذَا بِأَمِيرِ أَنْطَاكِيَةَ الصَّلِيبِىِّ يَجْرُؤُ عَلَى مُهَاجَمَةِ الأَرْضِ الْحِجَازِيَّةِ !

نَقَلَ أَجْزَاءَ السُّفُنِ عَلَى الجِمَالِ إلى الْبَحْرِ الأَحْمَرِ ، وَهُنَاكَ أَعَادَ جُنُودُهُ تَرْكِيبَهَا وَرَاحُوا يَعْتَدُونَ على الشَّوَاطِئِ الْعَرَبِيَّةِ . . وَاسْتَطَاعَ بَعْضُ رِجَالِهِ أَنْ يَقْتَرِبُوا مِنَ «الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ» !

لَكِنَّ شَقِيقَ «صَلاَحِ الدِّينِ» أَعَدَّ أُسْطُولاً مِصْرِيًّا وَتَصَدَّى لِسُفُنِ الصَّلِيبِيِّينَ ، وَقَضَى عَلَيْهَا جَمِيعًا .

وَفى عام ١١٨٦ الميلادِى اِكْتَمَلَتِ الْوَحْدَةُ الإسْلاَمِيَّةُ بِانْضِمَامِ المُوصِلِ إلى كَتَائِبِ الْجِهَادِ ، وَرَفْرَفَتْ رَايَاتُ الإسْلاَمِ فى الْعِرَاقِ ومِصْرَ وَسُورِيَّة وَالنُّوبَةِ وَشِبْهِ الْجَزِيرَةِ العَرَبِيَّة . . تَنْتَظِرُ قَرَارَ الْقَائِدِ لِتَتَقَدَّمَ إلى أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ . . إلى «حِطِّين» !

إن الله يدافع عن الذين آمنوا
إن الله لا يحب كل خوان كفور

٥

فى عام ١١٨٧ الميلادِى عَادَ الصَّليبيُّونَ إلى الاعْتِدَاءِ عَلَى قَوَافِلِ الْمُسْلِمِينَ ، فَدَعَا «صَلاَحُ الدِّينِ» الأُمَّةَ إلى الْجِهَادِ . .

وَسُرْعَانَ مَا أَقْبَلَ المقاتِلُونَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ جَمِيعِ الأَقْطَارِ الْعَرَبِيَّةِ ، فَاجْتَمَعَ حَوْلَ صَلاحِ الدِّينِ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ جُنْدِيٌّ : اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ فَارِسٍ ، وَثَلاَثَةَ عَشَرَ أَلْفَ رَاجِلٍ . . وَبِهذِهِ الْقُوَّةِ الْكَبِيرَةِ سَارَ إلى «طَبَرِيَّةَ» التى لَمْ تَلْبَثْ أَنْ فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا لِرَايَاتِ الإسْلامِ . .

وَكَانَ الأُمَرَاءُ الصَّلِيبِيُّونَ يَعْقِدُونَ مُؤْتَمَرًا فى عَكَّا لِتَسْوِيَةِ الْخلاَفَاتِ التى فَرَّقَتْهُمْ بِسَبَبِ أَطْمَاعِهِمْ ، وَرَغْبَةِ كُلٌّ مِنْهُمْ فِى السَّيْطَرَةِ وَالتَّحَكُّمِ ، فَلَمَّا جَاءَتْهُمُ الأَنْبَاءُ بِسُقُوطِ طَبَرِيَّةَ فى يَدِ الْمُسْلِمِينَ هَاجُوا ومَاجُوا . . وَسَارُوا إلى طَبَرِيَّةَ بِجُيُوشِهِم التى بَلَغَتْ خَمْسِينَ أَلْفَ جُنْدِيٌّ !

لٰكِنَّ «صَلاَحَ الدِّينِ» اِعْتَرَضَ طَرِيقَهُمْ عِنْدَ حِطِّين ، فى مَوْقِعٍ يُسَيْطِرُ مِنْهُ على المياه والعُشْبِ . وَمِنْ هُنَاكَ بَعَثَ فُرْسَانَهُ

يُهَاجِمُونَهُمْ بِالسِّهَامِ ، وَلاَ يَتْرُكُونَ لَهُمْ فُرْصَةً يَرْتَاحُونَ فِيهَا . .

وَأَخِيرًا بَلَغَ الأَعْدَاءُ المَوْقِعَ الذى اِخْتَارَهُ «صَلاَحُ الدِّينِ» لِلْمَعْرَكَةِ ، بَعْدَ أَنْ أَرْهَقَهُمُ الْحَرُّ وَالْعَطَشُ ، وَنَالَتْ مِنْهُمْ هَجَمَاتُ الْفُرْسَانِ الْمُسْلِمِينَ . وَلَمْ يَكَدْ يَسْتَقِرُّ بِهِمُ الْمُقَامُ على مُرْتَفَعَاتِ حِطِّين حَتَّى أَشْعَلَ رِجَالُ صَلاَحِ الدِّينِ الأَشْوَاكَ الْيَابِسَةَ فى السُّفُوحِ الْمُحِيطَةِ بِهِمْ ، فَزَادَهُم ذَلِكَ تَعَبًا . . وَغَرَسَ الْخَوْفَ فى قُلُوبِهِمْ . .

وَدَارَ الْقِتَالُ ، فَأَسْفَرَ عَنْ نَصْرٍ مُؤَزَّرٍ لِلْمُسْلِمِينَ وَهَزِيمَةٍ مُنْكَرَةٍ لِلأَعْدَاءِ الَّذِينَ قُتِلَ مِنْهُمْ وَأُسِرَ عَدَدٌ كَبِيرٌ . حَتَّى كَانَ مَنْ يَرَى الْقَتْلَى يَظُنُّ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَأْسِرُوا أَحَدًا ، وَمَنْ يَرَى الأَسْرَى يَظُنُّ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَقْتُلُوا أَحَدًا !

وَكَانَتْ مَعْرَكَةُ طَبَرِيَّةَ بِدَايَةَ النِّهَايَةِ لِلاحْتِلاَلِ الصَّلِيبِيِّ فى الشَّامِ وَفِلِسْطِينَ . .

فَقَدِ اسْتَوْلَى الْمُسْلِمُونَ بَعْدَهَا على مُدُنِ السَّاحِلِ جَمِيعًا : «عَكَّا» و «غَزَّةَ» و «حَيْفَا» و «صَيْدَا» و «بَيْرُوت» . .

ثُمَّ رَفْرَفَتْ رَايَاتُ الإِسْلاَمِ عَلَى الْقُدْسِ ، عَاصِمَةِ

الأَرْضِ الْمُبَارَكَةِ «فِلِسْطِين» . . لٰكِنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَفْعَلُوا بِهَا فِعْلَ الصَّلِيبِيِّينَ . .

أَجَلْ : لَمْ يَقْتُلِ الْمُسْلِمُونَ مَنْ كَانَ بِالْقُدْسِ مِنَ الأَعْدَاءِ . . بَلْ تَرَكُوهُمْ يَذْهَبُونَ بِسَلَامٍ إِلَى حَيْثُ يَشَاءُونَ . .

هَكَذَا أَدَّبَ الإِسْلَامُ أَبْنَاءَهُ ، فَإِذَا هُمْ يَفْتَحُونَ الأَرْضَ لِيَجْعَلُوا كَلِمَةَ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا . . والسَّلَامَ هُوَ الشِّعَارُ . . وَالأَمْنَ هُوَ الْعَهْدُ . . وَلاَ يَعْتَدُونَ !

رايات الإسلام

١ - فى اليمامة
٢ - فى اليرموك
٣ - فى القادسية
٤ - فى عين شمس
٥ - فى نهاوند
٦ - فى ذات الصوارى
٧ - فى المغرب
٨ - فى الأندلس
٩ - فى حطين
١٠ - فى المنصورة
١١ - فى عين جالوت

١٠٧٨٧